ترجمة:
"تحدي القاعدة: حرب الجهاديين مع الديمقراطيين الاسلاميين "

للمؤلف ويليام ماكنتش

ترجمة: المدرس المساعد
حُلى عبد الرضا الشمري(*)

مثَل الربيع العربي وموت اسامةبن لادن لحظة امل وخطر في آن واحد لدى الحركةالجهاديةالعالمية .فمن ناحية، منحت الاطاحةبالحكام والانظمة العلمانية في العالم الاسلامي فرصة غير مسبوقةللجهاديين لتأسيس دولة اسلامية لطالما كانوا يسعون الى تحقيقها . ومن ناحية اخرى، ان الجهاديين لم يعود وا قادرين على التساند والتآزر خلف زعيمهم الاكثر شعبية، بن لادن. وقد تفقد السفينة القيادية للجهاديين والتي اسسها بن لادن اهميتها في العالم الاسلامي في التنافس مع الجماعات الاسلامية المستعدة لخوض الانتخابات وتولي السلطة من خلال السياسة.

وقد واجه الجهادي ون مفترق طرق مع نهاية الحرب الباردة . ان انسحاب الاتحادالسوفياتي من افغانستان وانهياره اللاحق قد شجع استراتيجيا ت الجهاديين .وبما انهم على قناعة بانهم هزموا قوة عظمى عالمية فقد خططوا للاطاحة بالحكومات العربية العلمانية واستبدالها بالدول الاسلامية بهدف توحيد جميع هذه الدول في ظل خلافة واحدة .في الوقت نفسه،فتح انهيار الاتحاد السوفياتي باب العالم العربي لنفوذ الولايات المتحدة . وبعد التقييد الذي عانته الولايات المتحدة لمدة طويلة بسبب الوجود السوفياتي في المنطقة، ثبتت الولايات المتحدة دعائمها بصورة سريعة في المنطقة من خلال قيادة تحالف مناهض للرئيس العراقي صدام حسين و من ثم

(*) مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد.

زيادة وجودها العسكري في العالم العربي . ونتيجة لذلك، استنتج الجهاديون – والقاعدة على وجه الخصوص– ان واشنطن الان تتمتع بسلطة مطلقة تقريبا في منطقة الشرق الأوسط وسوف تستخدمها للحيلولة دون إنشاء دولة اسلامية كما أرادوا.

ان الكثير من المنظمات الاسلامية مثل الاخوان المسلمين تشترك مع القاعدة بالاعتقاد نفسه. ولكن تنظيم القاعدة رفض تنظيم الاخوان المسلمين وامثال هذه التنظيمات بسبب رغبتها في العمل داخل الانظمة القائمة والمشاركة في الهيئات التشريعية والتصويت. وقداكد بن لادن واتباعه ان مثل هذه التكتيكات سوف تُفشل اقامة دولة اسلامية لانها ستتغلغل في المفاضلات السياسية البراغماتية التي من شأنها ان تنتهك مبادئ هذه الدول في المستقبل ومن ثم تركهاعرضة للضغوط الامريكية. ولذلك فان الهجمات على الولايات المتحدة ودعم الجماهير لكي تثورهي فقط التي تحد من القوة الاقليمية للولايات المتحدة، حسب ماذكر تنظيم القاعدة

وبعد عقدين من الزمن حدثت الثورات التي لطالما انتظرها بن لادن في العالم العربي،وهذه الاضطرابات ،على مايبدو، اعطت للقاعدة فرصة نادرة لانشاء الدولة الاسلامية التي تروم اليها. الا ان الواقع الذي عاشته البلاد العربية يشير الى تبوء نخب وقيادات اسلامية لمواقع السلطة في هذه البلدان وتطبيقها لبرامج تكاد تكون بعيدة عن الشعارات الاسلامية واقرب ما تكون نحو تبني انموذج الدولة العصرية وهو ما يشكل نوعاً من التقارب بين هذه النخب والقيادات مع السياسة الامريكية في المنطقة مستقبلا. ففي تونس، قاد حزب النهضة الاسلامي استفتاءا قبل خوض الانتخابات التشريعية في تشرين الاول ٢٠١١. اما في مصر، من المرجح ان يحظى حزب الحرية والعدالة، وهو الفصيل الجديد الذي اوجده الاخوان المسلمون، بعدد كبير من المقاعد في البرلمان في الانتخابات التي جرت في خريف هذا العام. وينبغي للبلدان التي شهدت ثورات عنيفة عقد الانتخابات، مثل ليبيا وسوريا واليمن، حيث سيكون للبرلمانيين الاسلاميين محلا جديدا للتنافس في تلك البلدان.

ان تنظيم القاعدة وحلفاؤها لن يدعموا هؤلاء الاسلاميين مالم يرفضوا السياسة البرلمانية ويسعوا الى اقامة حكومات تنفذ وبشدة الشريعة الاسلامية وتعادي الولايات المتحدة . ومن غير المرجح ان يقوم البرلمانيون الاسلاميون بفعل ذلك. وبعد ان عانوا منذ عقود في ظل

حكم الحزب الواحد وخوفا من الاحزاب الاسلامية المتناحرة، لن يدعم البرلمانيون الاسلاميون مثل هذا النظام في المستقبل كما فعل نظراؤهم العلمانيون. وعلى الرغم من انها وبكل تأكيد ستسعى لتنفيذ القوانين الاجتماعية الاكثر تحفظا، فأن البرلمانيين الاسلاميين سيتفقون بأن بلدانهم تحتاج الى مساعدات اقتصادية وعسكرية من الولايات المتحدة او من حلفائها .

وبما ان القاعدة غير قادرة على احراز تقدم في البلدان العربية حيث يسيطر البرلمانيون الاسلاميون، مثل مصر، لذلك ستقوم القاعدة بمحاولة تحجيم نفوذ واشنطن من خلال مهاجمة الولايات المتحدة والتركيز على مساعدة المتمردين في ليبيا وسوريا واليمن . ولكن حتى في تلك البلدان، ستحتاج الى تقديم تنازلات للعمل مع الجماعات المتمردة الموجودة، وهذه المجموعات، مثل زملائهم الاسلاميين في اماكن اخرى، قد تقبل الى حدٍ ما بدعم الولايات المتحدة حيث يمكنهم اخذ السلطة. كل ما يعنيه هذا هو انه على الرغم ان اللحظة قد تبدو من اسبة، الا ان تنظيم القاعدة من غير المرجح ان يحرز تقدما كبيرا نحو هدفها النهائي المتمثل في اقامة دولة اسلامية في العالم العربي.

صعود الاسلاميين:

كل من القاعدة والبرلمانيين الاسلاميين اليوم هم الامتداد للإسلاموية التي نشأت في القرن التاسع عشر كرد فعل على الهيمنة الاستعمارية للأراضي الاسلامية. يعتقد الاسلاميون ان الوجود الاجنبي في البلاد العربية سوف يشكل ضاغطا على النخب الاسلامية مما يدفعهم نحو انتخاب حكام مسلمين مستقلين قد يطبقوا الشريعة الاسلامية . وهناك عدد كبير من هؤلاء الاسلاميين الذين انضموا الى السلفية ، وهو فكر متجدد يسعى الى تطهير الاسلام من التأثير الغربي والابتكارات غير الشرعية وبذلك يتم الرجوع الى تعاليم الدين الاسلامي للمسلمين الاوائل او السلف. وقد تصاعدت المشاعر القومية والاسلامية بعد الحرب العالمية الاولى، عندما انشأت فرنسا والمملكة المتحدة المستعمرات من بين انقاض الامبراطورية العثمانية. ازداد غضب المسلمين (السَنة) عندما تبنت الحكومة الجديدة في تركيا النظام العلماني والغت الخلافة، وهي مؤسسة رمزية

تمثل الى حدٍ ما وحدة الامبراطورية الاسلامية تحت زعيم واحد او الخليفة كما في الايام الاولى للدين الاسلامي.

وعندما نجحت الحركات القومية في انهاء الحكم المباشر للقوى الخارجية في الشرق الاوسط، ابتداءً من مصر التي حصلت على استقلالها من المملكة المتحدة عام ١٩٢٢، حيث سعى ناشطون اسلاميون لتبديل النظام والمؤسسات العلمانية لتحل محلها الدولة المستقلة الحديثة والتي تطبق الشريعة الاسلامية. وربما تعد حركة الاخوان المسلمين اكثر المنظمات الاسلامية شهرة في هذه الحقبة إذ تأسست في مصر في العشرينيات من القرن الماضي . ومع ذلك عندما حاولت هذه الحركة المنافسة في الانتخابات المصرية البرلمانية عام ١٩٤٢، ارغمتها الحكومة المصرية، وتحت الضغط البريطاني، على الانسحاب. ورغم من انهم فشلوا في تحقيق اهدافهم من خلال السياسة البرلمانية، فأن نشطاء من الاخوان المسلمين تحولوا الى النضال الاجتماعي السلمي، في حين ان اخرين، مثل سيد قطب، الذي كان واحدا من اعضاء الجماعة البارزين، الذين وضعوا ايديولوجية للثورات ضد الحكام . وقد رفض الحكام فكرة التشريعات التي من صنع الانسان وتمسك بفكرة الحكومات التي يقودها الاسلام والتي تضع قوانينها الخاصة، وتلك الحكومات التي تعارض الشريعة الاسلامية ولا تتبنى القوانين الاسلامية في الحكم ليست حكومات اسلامية حقيقية . وقد شجع قطب المسلمين الاتقياء على التمرد على هذه الانظمة، حيث الهمت كتاباته أجيالاً من المتشددين السُنة، بما في ذلك المؤسسين لتنظيم القاعدة.

وقد واصل الاسلاميون التركيز على المسائل الداخلية حتى غزا الاتحاد السوفياتي افغانستان عام ١٩٧٩. وفي موجة من الروح الاسلامية، تدفق الالاف من الشباب العرب على باكستان املين ان يدخلوا في معركة ضد الاتحاد السوفياتي. وكان من بينهم بن لادن، الذي جنَد الرجال وجهزهم بالمعدات وجمع الاموال من اجل هذه القضية. وقد اعطت معسكراته التدريبية في افغانستان للجهاديين(والذين هم من جنسيات مختلفة) هوية مشتركة ومهمة واحدة . وبالقيام بذلك، اصبحوا حاضنين لحركة الجهاد العالمية. وبعد ما يقارب عقد من الزمان، انسحب الاتحاد السوفياتي من افغانستان، حينها اعتقد الجهاديين انهم ساعدوا على هزيمة قوة عظمى.

ان تنظيم القاعدة، والذي تأسس عام ١٩٨٨ بدأ بالخروج من تلك المخيمات. ايمن الظواهري، وهو اسلامي مصري والذي دمج منظمته (منظمة الجهاد الاسلامي المصرية) مع القاعدة عام ٢٠٠١، اوضح بأن مهمة تنظيم القاعدة عام ٢٠١٠ هي بناء قاعدة للتدريب والتلقين والتحريض على جمع قدرات الامة وتدريبهم وزيادة ادراكهم وتطوير ثقافتهم وثقتهم بدينهم وانفسهم. وقال الظواهري:" ان هذه القاعدة تتضمن عدد اً كبيراً من المشاركين بالجهاد والذين يحملون هموم الامة ويغتنمون المبادرات الاكثر الحاحاً التي تواجه الامة ". وبعبارة اخرى، تُصور القاعدة نفسها على انها طليعة ثورية وتقوم بالعمليات الخاصة للدفاع عن العالم الاسلامي.

ايام وعود بن لادن:

بدت السنوات الاولى للقاعدة مليئة بالامكانيات إذ خلق انهيار الاتحاد السوفياتي فرصاً جديدة للمتطرفين في دول العمالات السابقة . حين تولى الاسلاميون السيطرة على الحكم في السودان عام ١٩٨٩، كما ان غزو صدام للكويت عام ١٩٩٠ حمَس الاحتجاجات السياسية الاسلامية في الجزائر، إذبلغت ذروتها في انتصار الاسلاميين في الانتخابات في البلاد في العام التالي. وعندما الغى الجيش العلماني الجزائري النتائج واحتفظ بالسلطة، فأنه اكد على الحاجة الى طليعة مسلمة ملتزمة.

وقد لفت غزو العراق للكويت انظار القاعدة نحو الولايات المتحدة. وقد قدم بن لادن عرضاً لإرسال عناصر من القاعدة الى المملكة العربية السعودية لمساعدتها على حماية البلاد من هجوم من قبل صدام . ولكن السعوديين رفضوا عرضه وبدلا من ذلك لجأوا الى الولايات المتحدة لقيادة هجوم على العراق من اراضيها . وقد اهان هذا التصرف بن لادن وزادت مخاوفه بشأن نمو القوة الامريكية في الشرق الاوسط . وتزايدت مخاوف بن لادن في السنة التالية عندما بدأت الولايات المتحدة بنشر قوات حفظ السلام في الصومال بصورة سريعة بعد ان نقل بن لادن مقر تنظيم القاعدة الى السودان. على الرغم من انه احتفل بانسحاب الولايات المتحدة بعد كمين "بلاك هوك" الشائن (والذي ادعى اعضاء القاعدة بأنهم مشاركون فيه). وبحلول عام ١٩٩٣، بدأ

اعضاء تنظيم القاعدة بتحديد اهداف اميركية في شرق افريقيا، وفي عام ١٩٩٤ ارسلوا متفجرات الى السعودية لمهاجمة منشآت اميركية غير محددة.

وبعدها عاد بن لادن الى افغانستان عام ١٩٩٦ بعد سيطرةحكومة الانقاذ (النظام الاسلامي) على السلطة في السودان وطرده منها بطلبٍ من واشنطن . وظل بن لادن يعتقد ان نفيه من البلاد العربية دليل على ان الاسلاميين العرب لا يمكنهم ان يبنوا دولة اسلامية ما لم تتلاشى وتنحسر القوى الغربية في المنطقة . وفي تصريح علني في العام نفسه، اعلن انه قد حوّل انظاره من افريقيا الى الخليج العربي، ودعا المسلمين الى شن حرب عصابات ضد القوات الامريكية في المملكة العربية السعودية . ولم يكن بن لادن مستاءا فقط من السعوديين لرفضهم مساعدته في حرب الخليج ومنعه من الوجود في المملكة العربية فقط، ولكنه ايضا لم يستطع تحمل وجود القوات الامريكية في بلاده . وفي اعتقاده، اذا الحق الجهادي ون اضرارا كبيرة بالولايات المتحدة، فقد تنسحب القوات الامريكية العسكرية من الاراضي السعودية، وهي خطوة من شأنها ان تسمح للاسلاميين لمواجهة العائلة المالكة السعودية، كما صرح بن لادن . وعلى الرغم من ان بن لادن لم يكن لديه المواد اللازمة لتنفيذ تهديده، الا ان تصريحه اثار غضب الحكومة السعودية والتي اوعزت لعملائها في افغانستان للحد من نشاطاته.

وقد صَعد بن لادن لهجته ضد الولايات المتحدة . ففي عام ١٩٩٨ وفي فتوى مشتركة مع قادة المنظمات الفلسطينية، دعا بن لادن كل مسلم لقتل الامريكيين بعد ذلك بوقت قصير، استغل تنظيم القاعدة هذا التهديدوقام بقصف سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا . وفي وقتٍ لاحق، وصف بن لادن هذه الهجمات بأنها "الهجمات التصاعد ية" الثانية ضد الولايات المتحدة- حيث ان الاولى كانت قصف منظمة حزب الله لثكنة مشاة البحرية الامريكية في لبنان عام ١٩٨٣، والثالثة التي جرت في ٩\١١- والتي جميعها قد تؤدي الى انسحاب الولايات المتحدة والغرب الكافر من الشرق الاوسط ولو بعد عشرات السنين.

في الواقع، لم تكن احداث ٩\١١ مكملة للتفجيرات التي حدثت في لبنان وافريقيا، كما زعم بن لادن . بدلا من ذلك، مثلّت هذه الاحداث تحولا دقيقا و مهماً في استراتيجية القاعدة. وقبل الاحداث، استهدف تنظيم القاعدة مواطنين ومؤسسات امريكية خارج امريكا، ولم

تهاجم ابدا الاراضي الامريكية. وقد نشأت فكرة الهجوم على الاراضي الامريكية بعد تفجيرات افريقيا. ايمن الظواهري، والذي اصبح القائد الثاني في تنظيم القاعدة، نشر كتابا قبل شهرين من احداث ٩\١١ تحت عنوان " فرسان تحت راية النبي" حيث بيّن الظواهري سبب قرار القاعدة لمهاجمة الولايات المتحدة و اراضيها. وفي الكتاب نفسه، اضاف الظواهري ان تنظيم القاعدة يهدف الى اقامة دولة اسلامية في العالم العربي:

"تماما كما لايتحقق النصر مالم يحتل الجنود الاراضي، فأن الحركة الاسلامية المجاهدة لن تحقق النصر ضد التحالف العالمي الكافر مالم تمتلك قاعدة في قلب العالم الاسلامي. في كل خطة وطريقة نحاول ان ننظر الى الامة على انها تتأرجح بالهواء بدون نتيجة ملموسة مالم يؤدي ذلك الى اقامة دولة الخلافة في قلب العالم الاسلامي".

ولتحقيق الهدف، اوضح الظواهري ان القاعدة تحتاج الى الجهاد العالمي:

" ليس من الممكن التحريض على الصراع من اجل اقامة دولة مسلمة اذا كان النزاع إقليمياً... ان التحالف الدولي بين اليهود والصليبيين، بقيادة الولايات المتحدة، لن يسمح للقوى المسلمة للحصول على السلطة في اي من الاراضي المسلمة... حيث سيتم فرض عقوبات على اي دولة تحاول المساعدة، حتى لو انها لم تعلن ضدها الحرب. ولذلك، وللتكيّف مع الحقيقة الجديدة، يجب ان نهيء انفسنا لمعركة لا تقتصر على منطقة واحدة بل يشمل الاعداء المحليين المرتدين واليهود الخارجيين".

ولمواجهة هذا التحالف الغادر، يجب على تنظيم القاعدة اقتلاع نفوذ الولايات المتحدة في المنطقة، والتي يمكّن من خلالها تحقيق افضل النتائج من خلال مهاجمة اهداف على الاراضي الامريكية، كما زعم الظواهري . وتوقع الظواهري ان الولايات المتحدة سترد اما عن طريق شن حرب ضد المسلمين في جميع انحاء العالم او من خلال سحب قواتها من الاراضي المسلمة. وبعبارة اخرى، على امريكا اما ان تقاتل او تنهزم. ويؤمن الظواهري ان ضربة مباشرة ضد القوة الامريكية قد تجر الولايات المتحدة على الانسحاب وبذلك يسمح للقاعدة في التغلب على العقبات التي تمنعها من السيطرة على الجماهير المسلمة وانهاء هيمنة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط وهذه

العقبات هي : عدم وجود قيادة، عدم وجود عدو واضح، وانعدام الثقة بين المسلمين . وبذلك ستجري القاعدة اختبار نظريتها في ٩\١١.

بناء دولة الجهاديين:

من منظور عملي، نجحت هجمات ٩\١١ اكثر مما كان يتصور اسامة بن لادن، والذي اسفر عن مقتل اكثر من ٣٠٠٠ من المدنيين وتدميرغير متوقع لمركز التجارة العالمي. ولكن هذه الهجمات لم تجمع المسلمين لنصرة قضية القاعدة والذي اثار استياء القاعدة. في الواقع، فقد تنظيم القاعدة شرعيته عندما نفى بن لادن مسؤوليتهم عن الهجمات، على امل تجنب اغضاب مضيفيه طالبان. وعندما قامت الولايات المتحدة بالهجوم على تنظي م القاعدة في افغانستان، قامت بذلك بدون تزويد ودعم الجماعة بعدد واضح ..(جيش صليبي كبير)..كما كان المتشددون الاسلاميون يأملون. اما الولايات المتحدة فتحفظت بفعلها، واكتفت باستخدام القوة الجوية ونشرت العمليات الخاصة وعملاء المخابرات المركزية والتغلغل في القبائل والتحالف معها لاسقاط نظام طالبان وتدمير تنظيم القاعدة وقاعدة عملياتها.

وعلى الرغم من ان الجيش الامريكي فشل في القبض على بن لادن، فأنها سرعان ما سيطرت على حركة طالبان واطاحت بالعديد من الجهاديين الذين يمثلون الدولة الاسلامية الوحيدة والاصلية. ومثّل سقوط افغانستان ضربة قوية لتنظيم القاعدة، والتي كان هدفها الاول هو اقامة مثل هكذا دولة. وقد نصح اغلبية مجلس الشورى لتنظيم القاعدة بن لادن بعدم مهاجمة الولايات المتحدة خوفا من مثل تلك النتائج.

وبعد فشله في تحشيد المسلمين معه في قضيته وتعثره في حربه البرية الطويلة مع الجيش الامريكي، هرب بن لادن الى باكستان وركز جهوده على وجود الولايات ا لمتحدة في المملكة العربية السعودية. وكانت السعودية في طليعة افكار بن لادن منذ عام ١٩٩٤، ويمتلك جميع المصادر لشن هجوم كبير ضد الولايات المتحدة في المملكة العربية السعودية . وفي بداية عام ٢٠٠٢، ارسل مئات الجهاديين الى السعودية لتنظيم هجمات ضد الجيش الامريكي و المدنيين في

البلاد. وبعد سنة من التحضيرات، شنَ بن لادن والظواهري هجمات دفعت بالسلطات السعودية الى اتخاذ اجراءات عدة لملاحقة اعضاء تنظيم القاعدة. كانت الحملة بمثابة كارثة. فعلى الرغم من ان تنظيم القاعدة حاول ضرب اهداف امريكية فقط، الا ان الكثير من العرب ا لم سلمين قُتلوا في هذه العملية، وبذلك تحوَل الشعب السعودي ضد الجماعة . وفي مثال واحد والذي يمثل كارثة، ادى هجوم تنظيم القاعدة على مجمع سكني في الرياض في تشرين الثاني ٢٠٠٣ الى قتل العرب والمسلمين بشكل رئيسي وخصوصا الاطفال . وبعد معركة استمرت لمدة عامين، قمعت الق وات السعودية اعضاء الجماعة في السعودية.

الا ان حسابات القاعدة الخاطئة لم تكن السبب الوحيد لفشلها في المملكة العربية السعودية. فعلى الرغم من سلسلة الهجمات الكبرى، لم تستطع القاعدة المنافسة على احراز الاهتمام مع وجود المعركة في العراق . وكان الغزو الامريكي على العراق عام ٢٠٠٣ اشعل الرأي العام الاسلامي في جميع انحاء العا لم واعطى للجهاديين فرصة للحرب التي كانوا يتمنوها . وقد اغتنم بن لادن والظواهري الفرصة للتعافي من الاخطاء الاستراتيجية في افغانستان والمملكة العربية السعودية واشعال حرب افتراضية بين الولايات المتحدة والعا لم الاسلامي بأجمعه. وكانوا يأملون ان هذا الصراع سيوَحد المسلمين تحت قضية القاعدة، والاهم من ذلك استنزاف موارد الولايات المتحدة. كلما تصاعدت الخسائر الامريكية في العراق، بدأت استراتيجية القاعدة بالا ستفادة من الدروس والعبرمن فيتنام ومن عواقب "التوسع الامبراطوري المفرط" ، كما اطلق عليه المؤرخ بول كينيدي. مع نهاية عام ٢٠٠٤، بدأ بن لادن الاشارة علنا الى "حرب الاستنزاف" ضد الولايات المتحدة.

ويأمل تنظيم القاعدة ان يكون العراق اول دولة اسلامية بعد فقدان ذلك الاول في افغانستان. وفي عام ٢٠٠٥، وجه أبو مصعب الزرقاوي، وهو زعيم التمرد في العراق الذي مثَل تنظيم القاعدة فيه ، رسالة يقول فيها ان الظواهري اكد ان النصر سيأتي عندما "تقام دولة اسلامية على طريقة دولة الرسول في قلب العا لم الاسلامي ... وسوف يكون المركز في بلاد الشام ومصر". واكد الظواهري انه اذا تم طرد الولا يات المتحدة و اقامة دولة اسلامية، فأن الجهاديين يحتاجون الى "دعم شعبي من الجماهير المسلمة في العراق والدول الاسلامية المحيطة به". وقد اخبر

الظواهري الزرقاوي ان الحصول على هذا الدعم من الدول العربية سيكون اسهل في حال اذا استمرت القوات الامريكية في احتلال الع راق. واكد الظواهري ان للحفاظ على شرعية القاعدة بعد انسحاب القوات الامريكية، يحتاج الجهاديون تجنب تنفير الشعوب من القاعدة وذلك من خلال الطائفية والعنف غير المبرر. فكان عليهم التعاون مع المسلمين من جميع الطوائف والعقائد طالما انهم سيشاركون في اقامة دولة قائم ة على الشريعة الاسلامية. وحذر الظواهري الزرقاوي انه اذا اعلن قيام دولة اسلامية قبل ان تبني القاعدة تحالفات فعالة مع الجماعات الاسلامية وحصلوا على استحسان شعبي في العراق، فأن الدولة ستفشل وسيستولي م عارضو الجهاديين والاسلاميين من العلمانيين على السلطة.

ولم يأخذ الزرقاوي واتباعه بنصيحة الظواهري . واعلن تنظيم القاعدة في العراق عن تأسيس دولة اسلامية بعد وقت قصير من مقتل الزرقاوي في غارة جوية عام ٢٠٠٦، وكما حذر الظواهري، فأن اعضاء التنظيم قد فقدوا الدعم وا لملاذ الذي كان مهيأً لهم في العراق لاسيما في المناطق السنية واستهدافهم للطائفة الشيعية في العراق . كما انها خسرت الكثير من حلفائها في التمرد من خلال مطالبتهم بالطاعة ومن ثم استهدافهم اذا رفضوا التعاون . فضلاً عن ذلك، وفي الحقيقة ان تنظيم القاعدة في العراق ودولته الاسلامية سيطروا على اراضي قليلة من تلك التي يعيش عليها السُنة في العراق. وبذلك فشلت المحاولة الاولى لتنظيم القاعدة في بناء دولة اسلامية. وحتى لو ان القاعدة اتبَعت مشورة الظواهري، فأن تنظيم القاعدة في العراق قد يواجه تهديد أً جديداً يظهر في الافق ألا وهو الاحزاب الاسلامية ورغبتها للدخول في النظام السياسي.

الاسلاميون الذين صوَتوا:

لما انقلبت وحشية القاعدة وتكتيكاتها الطائفية ضدها في العراق، فأن القوى السُنية كانت على استعداد للا نخراط في العملية السياسية والبرلمانية والحصول على السلطة . وكان على رأسهم الحزب الاسلامي العراقي السني، والذي يشغل اليوم احد اعضائه منصب نائب الرئيس.

وبطبيعة الحال، رفض الجهاديون هذا النجاح . فقد انتقد الظواهري عبد المنعم ابو الفتوح عضو مجلس قيادة جماعة الاخوان المسلمين المصرية والذي هو الان مرشح مستقل للرئاسة

في مصر. وقد اوضح ابو الفتوح قبل الثورات العربية ان جماعة الاخوان المسلمين ستحترم نتائج اية انتخابات شعبية في مصر وستبقى بمعارضة شريفة اذا فاز غرائمهم

كانت هذه الفكرة بمثابة لعنة على الظواهري، الذي قال ان شرعية الحكومة لا تُستمد من خلال صناديق الاقتراع ولكن من خلال تطبيقها للشريعة الاسلامية . " اي حكومة تقوم على اساس دستور علماني فهي ملحدة، او تتعارض مع الاسلام ولايمكن احترامها لأنها غير اسلامية ولاتحكم على وفق احكام الشريعة الاسلامية"، هذا ما كتبه الظواهري في كتابه "الفرسان" والذي نشر عام ٢٠١٠. "من غير المقبول ان القيادي في جماعة الاخوان المسلمين يثبت احترامه لمثل هكذا حكومة، حتى لو جاء عن طريق انتخابات نزيهة".

ومن الواضح ان الظواهري لا يعارض الانتخابات، ولكنه يؤيد فقط الانتخابات لدولة اسلامية وممثلي مجالس القيادة والتي من شأنها ضمان ان هذه الحكومات ستنفذ الشريعة الاسلامية بشكل صحيح . لكنه يعارض اي انتخابات لنظام علماني حيث المشرعين يضعو ن القوانين التي يختارونها. وفي الطبعة الثانية من كتابه " الفرسان"، اوجز الظواهري رؤية تنظيم القاعدة للدولة الاسلامية الصحيحة:

> ***"نطالب حكومة الخلافة، والتي انشأت على اساس سيادة الشريعة وليس على اهواء الاغلبية. فالأمة تختار حكامها. فأذا انحرف هؤلاء الحكام، فأن الامة ستحاسبهم وتزيلهم. والامة تشارك في اتخاذ قرارات الحكومة وتحديد اتجاهها . حيث تأمر الدولة الاسلامية بالحق وتنهى عن المنكر وتشارك في الجهاد لتحرير الاراضي المسلمة وتحرير البشرية جمعاء من كل الظلم والجهل".***

واتفق بن لادن مع رأي الظواهري حول الانتخابات ، حيث صرح في كانون الثاني ٢٠٠٩ انه حالما تتم ازالة النفوذ الاجنبي والطغاة المحليين من البلدان الاسلامية، يستطيع المسلمون الحقيقيون ان ينتخبوا الرئيس الذي يريدو نه ومثل الظواهري، قال بن لادن ان الانتخابات يجب الا توجد برلمانات تسمح للمسلمين وغير المسلمين بالتعاون على وضع القوانين وصنع القرارات.

وعلى الرغم من موافقة قادة تنظيم القاعدة على الانتخابات، الا انهم اختلفوا حول جدوى استخدام الاحتجاج السلمي لتحقيق الاهداف الاسلامية . وفي تصريحات بن لادن في يناير ٢٠٠٩، صرح ان المظاهرات السلمية عديمة الفائدة . وهذاالتصريح يتناقض مع تصريح ادلى به الظواهري في وقتٍ سابق حيث دعا فيه المسلمين المصريين الى الاضراب احتجاجا على حصار الرئيس المصري السابق حسني مبارك على قطاع غزة. والان، وبعد ان اصبح الظواهري زعيم تنظيم القاعدة بعد مقتل بن لادن، فأن انفتاحه على اساليب اللاعنف قد تسا عد تنظيم القاعدة على قيادة الثورات العربية التي تجتاح العا لم العربي . وحتى مع ذلك، فأن عداوته للسياسة البرلمانية تتراجع امام مقاليد السلطة الى البرلمانيين الاسلاميين.

ربيع البرلمانيين:

يقف تنظيم القاعدة الان على حافة الهاوية . فقد تحدى الربيع العربي ونجاح البرلمانيين الاسلاميين في جميع انحاء الشرق الاوسط رؤية القاعدة الاساسية كما ان القاعدة فقدت مؤسسها. وقد فقد تنظيم القاعدة ايضا الوصول الى الاتصالات الشخصية لبن لادن في افغانستان وباكستان والخليج العربي والتي قدمت لها الموارد والحماية لمدة طويلة. موت بن لادن قد حرم القاعدة من رمزه الاعلامي، والاهم من ذلك، فقد تنظيم القاعدة قائدها الاسمى والاعلى . وكشفت الغارة التي قتلت بن لادن انه لم يقل نشاطه كقائد للقاعدة، كما شك الكثير من المحللين الغربيين، بل استمر بن لادن في توجيه عمليات القاعدة وامتيازاتها . ومع ذلك، كشفت وثائق صودرت من منزل بن لادن في ابو تاباد في باكستان عن مدى ضعف تنظيم القاعدة حتى في ظل قيادته الحالية. وتُظهر المراسلات التي وُجدت في الغارة ان بن لادن ومساعديه فُجعوا من الخسائر المالية التي تكبدوها جراء ضربات الطائرات الامريكية . هذه الاوراق جعلت القاع دة غير حصينة لان الهيكل القيادي العام تم كشفه، مما وضع قيادة القاعدة في خطراكبر من اي وقتٍ مضى.

وقد تم اختيار الظواهري قائدا للقاعدة، على الاقل في الوقت الراهن . ولكن هذا الانتقال لن يكون سلساً والسبب في ذلك ان بعض اعضاء الحرس القديم للقاعدة يظهر القليل من الولاء للظواهري حيث يرونه حديث العهد في تنظيمهم . اما اعضاء القاعدة من الخليج

العربي، فقد يشعرون بالنفور لوجود قائد مصري يقودهم، خاصة اذا اختار الظواهري شخص اً مصرياً ليكون نائبا له.

وعلى الرغم من اختلاف المصادر الداخلية، ليس من المرجح ان ينقسم تنظيم القاعدة في عهد الظواهري، فقيادتها العليا لاتزال ترغب في توحيد الجماعات الجهادية تحت لوائها، ويتنازل قادتها الكبار عن اي امتياز في سبيل الانتماء للقاعدة. ومع ذلك فأن هؤلاء المنتمين لايستطيعون تقديم مأوى لكبار قادة القاعدة . في الواقع، اذا اصبحت باكستان ملجأ خطير اً لقادة القاعدة، فأنها ستجد نفسها مع خيارات قليلة اخرى . اما الحكومات الاسلامية التي كانت تحمي وتساعد القاعدة في السابق، مثل تلك الموجودة في افغانستان والسودان في التسعينيات من القرن الماضي، اما انها لم تعد موجودة او لا ترحب بالقاعدة بعد الان (على الرغم من ان الصومال اصبحت مرشحة لتكون ملجأ للقاعدة في حال اصبحت تحت سيطرة جماعة الشباب المتشددين).

في خضم التصارع مع كل هذه التحديات، يجب على القاعدة ان تقرركيفية الاستجابة للانتفاضات في العالم العربي. وحتى الان، قد اشار قادتها انهم يريدون دعم المتمردين الاسلاميين في البلدان الثائرة وغير المستقرة وارساء الاسس لإ نشاء دولة اسلامية جديدة بعد سقوط انظمة هذه البلدان، على غرار ما حاولوا في العراق . ولكن معضلة القاعدة الاستراتيجية الحقيقية تكمن في مصر وتونس. ففي هذه البلدان، تم اسقاط طغاتها المحليين، وستتم قريباالانتخابات البر لمانية، ولاتزال الولايات المتحدة متنفذة.

اما بالنسبة للظواهري فنتيجة الانتخابات المصرية امر شخصي ومهم لأنه بدأ معركته لإسقاط الحكومة المصرية منذ ان كان مراهقا . ويدرك الظواهري ايضا ان مصر، نظرا لأهميتها الجغرافية الاستراتيجية ومكانتها الرائدة في الوطن العر بي، هي الجائزة الكبرى في سباق القاعدة والولايات المتحدة . في رسالته الأ خيرة للشعب المصري ، اكد الظواهري انه اذا غاب التدخل الخارجي فأن المصريين والتونسيين سيقيمون دولة اسلامية من شأنها ان تكون معادية للمصالح الغربية. ولكن الولايات المتحدة، من المرجح ان تعمل لضمان ان القوات السياسية الصديقة، بما في ذلك العلمانيين والاسلاميين المعتدلين، ستفوز في الانتخابات المقبلة في مصر . وحتى لو تمكن الاسلاميون في اقامة دولة اسلامية هناك، فأن الولايات المتحدة ستحتفظ بنفوذها بما يكفي

لأبقائها في الخط نفسه، كما زعم الظواهري . ولمنع مثل هذه النتيجة، دعا الظواهري الناشطين الاسلاميين في مصر وتونس لبدء حملة شعبية (لا عنيفة) لتطبيق الشريعة الاسلامية كمصدر وحيد للتشريع والضغط على الحكومات الانتقالية لإنهاء تعاونها مع واشنطن.

ومع ذلك، فإن محاولة الظواهري في دفع الاسلاميين من غير المرجح ا ن تنجح. وعلى الرغم من ان بعض الاسلاميين في البلدين يدعمون القاعدة، فأن الكثير، خاصة جماعة الاخوان المسلمين، ينظمون الان الانتخابات المقبلة في بلدانهم، وهذا يعني انهم اصبحوا اسلاميين برلمانيين. حتى السلفيين المصريين الذين يشاركون الظواهري في استيا ئهم من السياسة البرلمانية سيشكلون أحزاباً سياسية خاصة بهم. والاكثر شؤما على جدول اعمال الظواهري، المنظمة الاسلامية المصرية والجماعة الاسلامية، جزءاً منها كان متحالفاً مع القاعدة، قد نبذت العنف واعلنت مؤخرا انها بصدد انشاء حزب سياسي للمنافسة على الانتخابات البرلمانية في مصر . وبذلك فقد تنظيم القاعدة تأثيره حتى على حلفائه الطبيعيين . وهذا يحد من اراء الظواهري . وخوفا من استعداء الشعب المصري، ليس من المرجح ان ينهي الظواهري جهوده في دعم البرلمانيين الاسلاميين للوصول الى السلطة في مصر، او ان يخالف ذلك بدعوته لإ قامة هجمات على البلد قبل الانتخابات. بدلا من ذلك، سيواصل حث الاسلاميين للدفاع عن الشريعة ومحاولة الحد من نفوذ الولايات المتحدة.

في الوقت ذاته، سيستمر الظواهري في المحاولة للهجوم على الولايات المتحدة واستغلال البلدان غير المستقرة بعد ثوراتها مثل ليبيا وسوريا واليمن، والتي قد تكون اكثر عرضة لتأثير القاعدة. ومع ذلك، وللعمل في هذه البلدان، ستحتاج القاعدة الى اخضاع برنامجها السياسي لأولئك المتمردين او المخاطرة في تدمير نفسها، كما فعلت جماعة الزرقاوي في العراق. فاذا استلم هؤلاء المتمردين السلطة، من المحتمل انهم سيرفضون ايجاد ملا ذ امن للقاعدة في بلدانهم خوفا من استعداء الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة.

وبفضل استمرار هيمنة الولايات المتحدة وتزايد البرلمانيين الاسلاميين في العالم الاسلامي، حتى المؤيدين للقاعدة اصبحوا الان في شك بأن القاعدة ستكون قادرة على ان تحل محل الانظمة القائمة في الدول الاسلامية في اي وقت لاحق . وفي بيان مشترك لاحق، اعربت

العديد من منتديات الجهاديين على الانترنت خوفها انه في حال انهزام معمر القذافي في ليبيا، فأن هناك اسلاميين سيشاركون في الانتخابات التي تدعمها الولايات المتحدة، وبذلك تنتهي اي فرصة لأقامة دولة اسلامية حقيقية.

ونتيجة لكل هذه العوامل، لم تعد القاعدة قائد اً للحركة الاسلامية في العالم العربي . وبعد ان اوضحت القاعدة السياسة الاسلامية للعالم على مدى العقد الماضي حيث اثارت هذه السياسة المخاوف حول الاحزاب السياسية الاسلامية، واعطاء الحكام العرب ذريعة ل لحد من نشاطها او انهائها، وقد تحقق هدف القاعدة في ازالة هؤلاء الحكام ولكن عن طريق جهات اخرى والتي لا تشارك القاعدة في رؤيتها السياسية . فإذا فشلت هذه الثورات وبق يت القاعدة، فأنها ستكون على استعداد لاستعادة قيادة المقاومة الاسلامية. ولكن حاليا، القوى المتمرئزة والمستفيدة من الربيع العربي هم البرلماني ون الاسلاميون والذين، على عكس تنظيم القاعدة، مستعد ون وقادرون على الانخراط في الاعمال السياسية.

وليام ماكانتس: هو المحلل السياسي في مركز CNA للدراسات الاستراتيجية وعضو هيئة التدريس في جامعة جونزهوبكنز. وهو مؤلف كتاب "***الالهة المؤسس المقبل***" و"***اختراع الامم: الفتح والثقافة... اساطير من العصور القديمة الى حد الاسلام***".

تمت ترجمة هذا البحث من مجلة ***foreign affairs*** عدد ايلول\ تشرين الاول ٢٠١١.
http://www.foreignaffairs.com\articles